
روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً!!
٢٩
الإيقاع المفترس



١ ـ وحش الأحراش ..

داعبت شمس الصباح وجه العالم البيولوجي الشهير الدكتور (حازم عمار) ، ففتح عينيه فى تكاسل ، وتثاءب ، وهو يلقى نظرة ناعسة على جدران خيمته المصنوعة من ألياف البلاستيك الحديثة ، ثم نهض فى خمول ، وهزَّ رأسه كأنما ينفض عن نفسه الكسل ، ونظر من خلال النافذة الشفافة ، التى تسلَّل منها ضوء الشمس ، إلى حافة بحيرة (فكتوريا) ، أمّ منابع نيلنا العظيم فى دولة (أوغندة) .

وابتسم وهو يتذكَّر بداية أبحاثه ، حول تطهير مياه النيل من منابعه الرئيسية ، باستخدام تلك المادة الجديدة ، ذات الأثر القاتل لكل أنواع البكتريا والطفيليّات ، التى كشفها بعد أبحاث طالت عشر سنوات .. واتسعت ابتسامته حينما تذكر أن أبحاثه الجديدة قد شارفت على

النجاح ، ولن تمض أشهر قليلة حتى تجرى مياه النيل فى مجراها الخالد نقية صافية ..

خرج الدكتور (حازم) من خيمته بعد أن ارتدى ثيابه ، وتطلع فى مرح إلى خيام رفاق رحلته الكشفية ، الذين لم يستيقظوا من نومهم بعد ، وتمطى فى قوة وهو يتطلع إلى الأفق ، وكأنما يرى فيه مستقبله المشرق كما يتمناه ..

وفجأة جذب شىء آخر انتباه الدكتور (حازم) ، وحوّل ملامحه من الشرود والحلم إلى الإنصات والاهتمام ، حينما تناهى إلى مسامعه صوت عجيب ، ذكّره بما قرأه عن هذه المنطقة منذ مئات السنين .. صوت إيقاع بدائى منتظم يقترب فى بطء وهدوء ..

أصغى الدكتور (حازم) إلى الإيقاع فى اهتمام بالغ ، وقد زوى ما بين حاجبيه ، وكأنه يحاول تذكّر أين ومتى سمع هذا الإيقاع من قبل ؟ ولم يلبث أن أدار وجهه شطر الأحراش الممتدة غربًا ، حيث يأتى الإيقاع العجيب ، وغمغم فى دهشة :

ـــ عجبًا !! إنه يشبه إيقاعات قبائل (الكانيبال) .. ولكن هذه القبائل انقرضت منذ زمن طويل .

وبلا وعى .. وبدافع الفضول العلمى الذى يبدد من عقول العلماء كل آثار الخوف أو الرهبة ، تحرّك الدكتور (حازم) نحو الأحراش ، التى طالما حذّره مرافقوه من ولوجها .. وبنفس الشرود أزاح الأعواد المتشابكة ، وأخذ يسير نحو الإيقاع ، الذى كان من الواضح أنه يقترب بدوره ، ويزداد سرعة وارتفاعًا ، وبدا وكأنه يسيطر على جسد الدكتور (حازم) ، الذى أخذ يسرع فى سيره حتى قارب العَدْو برغم توتّر عضلات وجهه ، والخوف الذى وجد أخيرًا طريقه إلى قلبه ، إلّا أن شيئًا ما كان يدفعه إلى الإسراع نحو الإيقاع ، الذى ازدادت حدّته وقوّته ، بفعل اقتراب كل منهما من الآخر ، وشعر الدكتور (حازم) بدقّات قلبه ترتفع وتسرع ، حتى خُيّل إليه أن قلبه يحاول القفز من بين ضلوعه ، بدافع الخوف أو التوتّر أو الإثارة .

وفجأة .. توقّف الإيقاع تمامًا ، وساد صمت عجيب ،

وتوقَّف الدكتور (حازم) عن الحركة .. تسمَّر فى مكانه تمامًا فور توقُّف الإيقاع ، وكأنَّ قدميه ارتبطتا فى حركتهما بالإيقاع الغامض ..

توقَّف جسد الدكتور (حازم) ، وتحرَّكت مشاعره فى قوة وعنف ، حينما سمع صوتًا واضحًا يؤكِّد وجود شخص ما ، أو شىء ما يقترب منه وسط الأحراش المتشابكة ..

وارتجف جسد الدكتور (حازم) ، واختفى فضوله العلمى ، وسيطر عليه خوف شديد ، ورعب جارف ، واتسعت عيناه ذُعرًا ، وتحرَّك متقهقرًا وهو يحاول العَدْو عائدًا إلى المخيَّم ، ولكن ....

فجأة برز أمامه شكل ما .. كل ما رآه الدكتور (حازم)



هو عينان قاسيتان تحدِّقان فيه فى وحشية وشراسة ، حتى أنهما شغلتاه عن رؤية تفاصيل الجسد الذى وقف أمامه ..

ولم تلبث عينا الدكتور (حازم) أن انتقلتا فى رعب من العينين إلى المخالب .. المخالب الحادَّة القوية .. وعاد يرفع عينيه إلى العينين الوحشيتين ، وحاول أن يصرخ رعبًا ، ولكن المخالب القوية انطلقت نحوه ، وصرخ الدكتور (حازم) .. صرخ صرخة قوية امتزج فيها الرُّعب بالذهول ، وارتجفت لها أحراش (أوغندة) .

* * *

من المعروف عن العالم البيولوجى الدكتور (ممدوح الكافورى) ، وسط البعثة العلمية المصرية فى (أوغندة) ، أنه أعمق العلماء نومًا ، وأكثرهم انغماسًا فى عالم الأحلام ، ويقولون إن إيقاظه من سباته يحتاج عادة إلى قنبلة .. وبرغم كل هذا فقد انتزعته صرخة الدكتور (حازم) من فراشه انتزاعًا ، فاختطف منظاره الطبى ، وانطلق يجرى بثياب النوم ، حافى القدمين ، نحو الأحراش المتشابكة ، غير عابئ

بالتحذيرات التى طالما سمعها عن هذه المناطق المتشابكة الأعواد ، ورأى بعض رفاق البعثة وهم يغادرون خيامهم ، وعلى وجوههم علامات الفزع والدهشة ، وسمع بعضهم يحذّره من ولوج الأحراش ، ولكنه لم يتوقّف بل واصل عَدْوه ، وهو يزيح الأحراش عن طريقه بذراعيه القويتين ، نحو المكان الذى انطلقت منه الصرخة ..

وفجأة .. توقّف الدكتور (ممدوح) .. تسمّرت قدماه رعبًا واشمئزازًا ، وغمغم فى ذهول :

ـ ربّاه !! (حازم) ؟. هذا بشع !! بشع !!

ثم استدار وتقيأ فى قوة واشمئزاز ، وعاد يغمغم فى حزن غامر :

ـ يا إلهى !! هذا مستحيل !! مستحيل !!

لحق به فى تلك اللحظة الدكتور (عبد المحسن هديب) ، ونظر بدوره إلى جثة الدكتور (حازم) ، وامتعض وهو يقول فى ذعر وتوتّر واشمئزاز :

ـ ربّاه !! لقد تمزّق تمامًا .

فقد كان جسد الدكتور (حازم) ، أو على الأدق جثته ، ترقد أمامهما ممزّقة ، بفعل مخالب قوية حادّة ، وقد انتزعت من صدره قطعة كبيرة تغطّى مكانها بالدماء ، وجحظت عيناه المتحجّرتان فى رُعب وألم .. كان مشهدًا من المستحيل أن يمحى من ذاكرة من يشاهده مدى الحياة ..

وصل الدكتور (شريف بيومى) ، والدكتور (إبراهيم فرج) فى تلك اللحظة ، وأثار المشهد رعبهما ، واشمئزازهما معًا ، وغمغم الدكتور (إبراهيم) :

ـ يا إلهى !! لقد كان ذلك الإيقاع حقيقيًا .

استدار إليه الدكتور (ممدوح) ، وسأله فى قسوة :

ـ أى إيقاع هذا يا (إبراهيم) ؟

نظر إليه (إبراهيم) فى توتُّر ، وغمغم وهو يعاود النظر إلى الجثة الممزّقة :

ـ إيقاع قبائل (الكانيبال) المتوحّشة .. قبائل أكلة لحوم البشر .

واتسعت عيناه ذعرًا ، وهو يتلفّت حوله مستطرذًا فى رعب :

ـــ لقد أحاطت بنا قبائل مفترسة يا رفــاق .. سيلتهموننا جميعًا .. سنسقط ضحايا الإيقاع المفترس .

* * *



٢ ـــ فريق من مصر ..

وقف مفتش الشُّرطة الأوغندى ، يراقب فى اهتزاز وأسف طائرة الإسعاف ، وهى ترتفع حاملة ما تبقّى من جثة الدكتور (حازم) ، وانتظر حتى اختفت خلف الأحراش ، والتفت إلى أفراد البعثة قائلًا :

ـــ إن قصتكم عن قبائل أكلة لحوم البشر تدهشنى ياسادة ، فلقد انقرضت هذه القبائل تمامًا من العالم أجمع منذ عشرات السنين ، إما بالقضاء على بعضها ، أو بتحضُّر البعض الآخر ، وابتعادهم عن مثل هذا الأسلــوب الهمجى ، فكيف تتصوَّرون ظهور إحداها هكذا فجأة ، لالتهام زميلكم بالذات ؟

قال الدكتور (عبد المحسن) فى حدَّة ، وقد أثارته لهجة المفتش المتشكِّكة :

ـــ هل رأيت جسده الممزَّق ؟ .. هل شاهدت حجم الجزء المنتزع من صدره ؟ .. إن زميلنا قد التهم التهامًا يا سيِّدى .

مطّ مفتش الشُّرطة شفتيه ، وهزّ كتفيه وهو يقول :

ـــ أى حيوان مفترس مما تمُوج به الأحراش ، يمكنه أن يفعل ذلك يا سادة ؟ .. ولقد حذّرناكم أكثر من مرة من ولُوج هذه الأحراش .. إننى أميل إلى الاعتقاد بأن أسدًا جائعًا هو الفاعل الحقيقى .

سأله الدكتور (شريف) فى هدوء :

ـــ وماذا عن ذلك الإيقاع ؟

ضاقت عينا مفتش الشرطة ، وهو يسأله :

ـــ أى إيقاع هذا ؟

ازدرد الدكتور (إبراهيم) لعابه ، وقال :

ـــ سأشرح أنا الأمر يا سيِّدى .. لقد استيقظت كالعادة مع شروق الشمس ، ولكننى بقيت فى فراشى متكاسلًا .. ولم ألبث أن سمعت إيقاعًا منتظمًا ، يشبه تمامًا إيقاعات طبول قبائل (الكانيبال) المتوحِّشة .. فتصوَّرت لحظة أننى مازلت أحلم ، ولكننى تنبَّهت إلى أننى مستيقظ بالفعل ، فأصغيت للإيقاع بانتباه ، ولاحظت أنه يتزايد

باستمرار ، وكأنه يقترب من مخيَّمنا .. وأصدقك القول إننى شعرت برعب شديد ، حتى أننى لم أستطع مغادرة فراشى .. وفجأة ساد الصمت تمامًا ، لأقل من دقيقة ، انطلقت بعدها صرخة مرعبة ، لم أسمع لها مثيلًا فى حياتى بأكملها ، أعقبتها جلبة شديدة فى المخيَّم ، وتحرَّك الجميع ، حين ظللت أنا فى فراشى متسمِّرًا من شدَّة الرُّعب ، ثم استجمعت شجاعتى ، ولحقت بالجميع داخل الأحراش ، وهناك رأيت .. رأيت ....

ثم أغلق عينيه ، وأشاح بوجهه ، وكأنه عاجز عن وصف ما رآه .. وساد الصمت لحظات ، ثم غمغم المفتش الأوغندى فى صوت خافت :

ـــ هل سمع أحد غيرك هذا الايقاع يا دكتور (إبراهيم) ؟

انبرى سكرتير البعثة ويدعى (على سلطان) ، وقال فى تردُّد :

ـــ أنا أيضًا سمعته ياسيِّدى ، ولكننى لم أفهم ما يعنيه ، فأنا رجل إدارىّ لا علمىّ .

صمت مفتش الشُرطة ، وكأنه يحاول هضم ما سمعه ، ثم عاد يهزّ كتفيه قائلًا :

— على كل سيتولّى الأمر بعض مواطنيكم ، وأظنّهم قادرين على فهمكم أكثر مما أستطيع .

سأله الدكتور (شريف) فى تعجُّب :

— بعض مواطنينا ؟؟ .. ماذا تقصد أيها المفتش ؟

قال مفتش الشرطة ، وصوته يحمل بعض الضيق :

— كان من المفروض بالطبع أن نتولّى نحن الأمر ، مادام الحادث قد وقع على أرضنا ، ولكن المسئولين فى دولتنا وافقوا — حرصًا على الصداقة بين دولتينا — على أن تتولّى مخابراتكم العلمية الأمر ، وسيصل إلى هنا فريق مصرىّ ، للتحقيق فى الأمر بأكمله .

ظهر الارتياح على وجوه أعضاء البعثة ، مما أثار حفيظة مفتش الشُرطة ، الذى رفع رأسه يتأمّل حوّامة نفّاثة تقترب فى السماء ، وغمغم بصوت يملؤه الضيق :

— ها هو ذا فريق مخابراتكم العلمية المصرية .. معذرة

أيها السادة ، لكننى سأنسحب فور وصولهم ، فما داموا سيتولّون الأمر ، فلا أحبُّ أن أكون تابعًا لهم .. ولْنَرَ ماذا يقدر المصريون على فعله ؟

* * *

هبطت الحوّامة المصرية وسط أرض المخيّم تمامًا ، وهبط منها الرائد (نور الدين) ، تتبعه زوجته (سلوى) ، ثم رفيقاه (محمود) و (رمزى) ، وانشغل قائد الحوّامة ومعاونه ، فى إنزال صندوق يحوى بعض معداتهم التكنولوجية ، على حين تقدّم أفراد الفريق من أعضاء البعثة ، ومفتش الشُرطة الأوغندى ، وتم التعارف بسرعة ، ثم قال مفتش الشرطة وهو يتأمّلهم فى سخرية :

— سأترك لكم الأمر تمامًا أيها المصريون ، وستمنحكم حكومتى كل ما تحتاجون إليه من تسهيلات .

واتسعت ابتسامته الساخرة وهو يردف :

— ولْنَرَ ماذا أنتم قادرون على فعله .

ابتسم (نور) ، وقال فى سخرية مماثلة :

— سنحل الموقف كله قبل فجر الغد ياسيادة المفتش .

نظر إليه مفتش الشُّرطة فى دهشة ، لم تلبث أن تحوَّلت إلى السخرية وهو يتَّجه إلى طائرته قائلاً :

— فليكن أيها الرائد المصرى .. سنرَى .

ولم يكد المفتش الأوغندى يبتعد بطائرته ، حتى قصَّ رجال البعثة على (نور) كل ماحدث .. وما أن انتهوا حتى ساد صمت عميق ، قالت (سلوى) ، وهى تتلفت حولها فى توجُّس :

— هل أنتم واثقون من قصة أكلة لحوم البشر هؤلاء ؟

قال الدكتور (عبد المحسن) فى أسَى :

— بكل أسف .. نعم ياسيِّدتى ، فهذا الإيقاع لايميِّز سواهم .

تأمَّل (نور) أعضاء البعثة فى اهتمام ، محاولاً استشفاف ما يدور فى رءوسهم .. كانوا خمسة أشخاص بعد مصرع الدكتور (حازم) رئيس البعثة .. كان الدكتور (عبد المحسن هديب) ضئيل الحجم ، نحيل الجسد ، له

وجه رفيع ، وعينان ضيقتان فاحصتان ، وشعر رمادىّ مجعَّد ، تبدو فى ملامحه الحيويَّة والنشاط .. أمَّا زميله الدكتور (شريف بيومى) ، فكان رياضى القوام ، أبيض البشرة ، طويل القامة ، له كتفان عريضتان ، وشعر أشقر ، وعينان عسليتان ، ووجه حليق ، وسيم .. على حين يتمتع الدكتور (إبراهيم فرج) بقوام ضخم ، وعضلات مفتولة ، وعنق غليظ ، أقرب إلى المصارعين منه إلى العلماء ، وله وجه عريض ، ذو ملامح تشبه الملاكمين ، بأنفه الأفطس ، وعينيه الواسعتين ، وجبهته العريضة ، وفكِّه القوية .. ويبدو الدكتور (ممدوح الكافورى) هادئًا ، بوجهه الطويل ، ومنظاره الطبِّىّ الغليظ ، وشعره الأسود الناعم ، وجسده الممتلئ نوعًا ، وشاربه الأسود الكبير .. وأخيرًا السكرتير (على سلطان) ذو الجسد القوى الواضح ، والعينان الخضراوان النفاذتان ، ووجهه الحليق ، وشعره المجعَّد المائل للاصفرار ..

كانوا مجموعة عجيبة ، يجمعهم البحث الذى لقى الدكتور (حازم) مصرعه ، وهو يحاول إنهاءه ..

قال (نور) ، بعد أن انتهى من فحص الجميع :

ـ لقد حضر معنا الدكتور (محمد حجازى) ، خبير الطبّ الشرعى المصرى المعروف يا سادة ، ولقد هبط فى العاصمة (كمبالا) ، حيث سيقوم بفحص جثة زميلكم القتيل .. وأعتقد أن ما سيتوصّل إليه ، سيكون مفيدًا للغاية فى بحثنا عن الحقيقة .

قال الدكتور (إبراهيم) فى عصبية :

ـ هل تعنى أننا سنظل فى هذا المكان ، حتى تأتى نتائج التشريح ؟ .. هذا مستحيل ياسادة .. سيحيط بنا هؤلاء المتوحّشون أكلة لحوم البشر ، وسنصبح وجبة دسمة لهم قُبَيل الصباح .

قال (نور) فى حزم :

ـ لن يغادر أحدنا المنطقة ، قبل حسم الموقف يا دكتور (إبراهيم) ، شئتم أم أبيتم .

نظر الدكتور (إبراهيم) إلى (نور) فى حدّة ، ثم استدار ، واتجه فى خطوات عصبية إلى خيمته ، وابتعد

الجميع كلٌّ إلى خيمته ، حتى أن هذا أثار خجل (سلوى) ، إلّا أن الدكتور (شريف بيومى) اقترب من (نور) ، وهمس قائلًا :

ـ كنت أودُّ التحدُّث إليك قليلًا أيها الرائد ، فلدىَّ نظرية مخالفة .

قال (نور) فى هدوء :

ـ قل ما بدا لك يا دكتور (شريف) ، فلا شىء يخفى عن رفاق .

نظر الدكتور (شريف) إلى أفراد الفريق ، ثم قال :

ـ أنت تعلم بالطبع ، أن الغرض من بعثتنا هو تنقية مياه النيل من مصادرها ، بحيث لا نحتاج إلا لعملية الترشيح فقط ، للتخلُّص من الشوائب فى مصر .

أومأ أفراد الفريق برءوسهم بما يعنى معرفتهم لذلك ، فأردف الدكتور (شريف) قائلًا :

ـ هذا يعنى بالطبع انخفاض الميزانية الضخمة ، المستخدمة فى تنقية مياه الشرب فى مصر إلى العشر تقريبًا ،

ولقد أعلن بعض المسئولين ، أن الفارق الناتج سيستخدم فى تطوير الوسائل الدفاعية والعسكرية لدولتنا .. هل تعلم ماذا يعنى ذلك ؟

قال (محمود) :

ـ نعم يا دكتور (شريف) .. يعنى إضافة نصف مليار من الجنيهات إلى ميزانيتنا العسكرية سنويًّا .

ابتسم الدكتور (شريف) ، وقال :

ـ هذا ما أقصده تمامًا يا سيِّد (محمود) .. وهو يعنى أيضًا أنه فى مصلحة بعض الدول ، ألَّا يتم توفير مثل هذا المبلغ الضخم للنواحي العسكرية ، التى ستكفل لنا مزيدًا من التفوُّق .. ويعنى أيضًا باختصار أنه من الممكن افتعال حادث القتل هذا لإيقاف المشروع .. وبمزيد من الاختصار ، إنه من المحتمل أن يكون أمر أكلة لحوم البشر هذا مزيفًا من أساسه .

* * *

٣ ـ إيقاع الموت ..

ـ إننى أميل إلى تصديق هذا يا رفاق .

قال (نور) هذه العبارة فى هدوء ، وهو يضطجع فى مقعد وثير ، داخل الخيمة الضخمة التى أعدَّها أفراد الفريق لاجتماعاتهم ، فقال (رمزى) :

ـ لن يمكن حسم هذا الأمر ، إلا بعد وصول تقرير الدكتور (حجازى) أيها القائد ، فكل الدلائل حتى الآن تشير إلى وجود بعض أكلة لحوم البشر فى المنطقة .

قال (نور) فى هدوء :

ـ أيَّة دلائل هذه يا (رمزى) ؟.. مجرَّد رجل تمزَّقت جثته داخل أحراش تموج بالحيوانات المفترسة .

ابتسم (رمزى) قائلًا :

ـ أخطأك الحدس هذه المرة أيها القائد ، فلا بدَّ أن نسأل أنفسنا أولًا : ما الذى دفع عالمًا مثل الدكتور

(حازم) ، إلى ولوج الأحراش التى يتحاشى الجميع الخوض فيها؟ لو أردت رأيى كعالم نفسى ، فسأقول إن ما دفعه إلى ذلك أمر أثار فضوله العلمىّ إلى أقصى درجة .

زوى (نور) ما بين حاجبيه فى تفكير عميق ، وقال :

ـــ هل تعتقد أن الفضول العلمىّ ، يمكنه أن يدفع إنسانًا إلى خوض أحراش مخيفة مثل هذه ، وهو يسمع إيقاعًا يشير إلى وجود أكلة لحوم البشر ؟

قال (رمزى) فى هدوء :

ـــ لو أنك راجعت تاريخ العلماء ، لوجدت أن كثيرًا منهم لقوا حتفهم ، بسبب فضول يشبه ذلك تقريبًا .

غمغمت (سلوى) :

ـــ إنهم مجانين إذن .

نهض (نور) من مقعده ، وأخذ يسير فى الخيمة صامتًا ، وعلى وجهه دلائل التفكير العميق ، ثم قال وهو يتوجّه إلى الخارج :

ـــ أعتقد أن أفضل الناس معرفة بالدكتور (حازم) ،

هم رفاقه أفراد البعثة ، وهم من ينبغى أن نتوجّه بأسئلتنا إليهم ، عن طبيعته وفضوله العلمى .

* * *

ـــ أتسألنى عن سبب انضمامى للبعثة أيها الرائد ؟

نطق الدكتور (عبد المحسن هديب) بهذه العبارة ، وعيناه تلتمعان بسخرية لم يفهم (نور) سببها فى البداية ، حتى قال الدكتور (عبد المحسن) مستطردًا :

ـــ يمكنك أن توجّه سؤالك هذا إلى المسئولين أيها الرائد .. فلقد استدعونا رسميًا أنا و (شريف) للانضمام إلى البعثة .

سأله (نور) فى هدوء :

ـــ تقصد الدكتور (شريف بيومى) ؟

قال الدكتور (عبد المحسن) ، فى لهجة تنطوى على التحدّى :

ـــ نعم .. هذا ما أقصده ، وإن كنت لا أجد (شريفًا) آخر هنا .

تمالك (نور) أعصابه ، وعاد يسأله فى هدوء لا يعبِّر عن ثورة نفسه :

ــ حسنًا يا دكتور (عبد المحسن) .. فلنبدِّل صيغة السؤال ، ولنسألك ما تخصُّصك فيما يخص عملية تنقية منابع النيل ؟

رفع الدكتور (عبد المحسن) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وقال فى سخرية :

ــ ما تخصُّصى ؟! .. إنه أساس العملية أيها الرائد ، فأنا متخصِّص فى التحاليل البكتريولوجية .. أسمعت يومًا عن هذه التحليلات ؟ أم أن معلوماتك لا تتعدَّى عمليَّات الشُّرطة والاستجوابات الباردة ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

ــ لِمَ لا نتحدَّث بطريقة علمية ، بدلًا من تبادل التهكُّم يا سيِّدى ؟

ابتسم الدكتور (عبد المحسن) ، وقال :

ــ لا بأس يا سيِّد (نور) ، إذا ما كففت عن سؤالى بلهجة تنطوى على الاتهام .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ حسنًا يا دكتور .. كلِّى آذان صاغية .

اعتدل الدكتور (عبد المحسن) ، ومرَّ بيده على شعره الرمادىّ المجعَّد ، وقال فى هدوء :

ــ إن عملى الأساسى كما قلت لك ، هو تحليل العيِّنات المأخوذة من بحيرة (فكتوريا) ، ويشاركنى فى ذلك زميلى الدكتور (شريف بيومى) ، حيث إنه متخصِّص فى التحاليل الباثولوجية ، فيقوم بفحص أنسجة بعض الكائنات ، التى تعدُّ البحيرة المصدر الرئيسى للشُّرب بالنسبة لها ، حتى يمكن التحقُّق من فوائد عملية التنقية ، التى كان من المفروض أن يتمَّها الدكتور (حازم) رحمه الله .

سأله (نور) :

ــ وما مدى معرفتك بالدكتور (حازم عمَّار) ؟

هزَّ الدكتور (عبد المحسن) كتفيه ، وقال :

ــ لَمْ أقابله شخصيًا إلا عند انضمامنا أنا و (شريف

إلى البعثة التى يقودها ، ولكننى وجدته رجلًا رائعًا (رحمه الله) .. فهو أكثرنا نشاطًا ، برغم أنه أكبرنا سنًّا ، وهو أول من يستيقظ .. أقصد أنه كان كذلك .. حتى أنه كان يقضى حوالى الساعتين يعمل وحده ، قبل أن يستيقظ أوّلنا .. وكان عالمًا بكل ما فى الكلمة من معانٍ ، ومازلت اذكر كيف كاد يلقى بنفسه خلف أحد التماسيح ، لمجرَّد أن تكوين أسنانه يختلف عن النوع المألوف ، متناسيًا تمامًا ما يمكن أن تفعله به هذه الأسنان .. لقد كان (رحمه الله) مخلصًا متفانيًا .. وفى رأيى أن تعويضه يعدّ مستحيلًا ، وسط هذا العالم الذى انغمس فى المادِّيَّة .

صمت (نور) لحظات ، وكأنه يمنح هذه المعلومات فرصة الاستقرار ، قبل أن يعاود أسئلته قائلًا :

ـــ هل لديك معلومات كافية عن قبائل (الكانيبال) أكلة اللحوم ، يا دكتور (عبد المحسن) ؟

مطَّ الدكتور (عبد المحسن) شفتيه مجيبًا :

ـــ ليس بما يكفى .. إن معلوماتى فى الواقع ، مستقاة

من بعض الكتب والأفلام التسجيلية ، ومن بحث لم يكتمل ، حاول أحد تلامذتى القيام به قديمًا ، عن احتمال تحوُّل الإنسان العادىّ إلى آكل لحوم بشر ، بسبب ميكروب أو فيروس ما ، مثلما يحدث فى السعار مع الفارق .

سأله (نور) :

ـــ من تظن أنه يعلم هذه المعلومات بصورة كافية من أفراد البعثة ؟

صمت الدكتور (عبد المحسن) قليلًا ، ثم قال :

ـــ كلهم تقريبًا باستثناء (شريف) .

قطَّب (نور) حاجبيه ، وسأله :

ـــ كلهم ؟.. حتى (على سلطان) ؟

أجابه الدكتور (عبد المحسن) على الفور :

ـــ بالطبع .. إنه يعمل منذ خمس سنوات ، فى معهد الأبحاث البيولوجية ، ومهمته تنحصر فى نسخ وترتيب كل المعلومات التى تَرِدُ إلى المعهد ، حتى ما يختص بقبائل أكلة لحوم البشر .

ازداد تقطيب حاجبى (نور) ، وبدت على وجهه علامات التفكير العميق ، وصمت طويلًا ، ثم قال فى بطء وهدوء :

ـــ ولِمَ استثنيت الدكتور (شريف بيومى) ؟

هزَّ الدكتور (عبد المحسن) كتفيه ، وقال :

ـــ إننى و (شريف) نعمل معًا فى معمل مشترك ، ويمكنك أن تقول إن كلًّا منَّا هو أصدق أصدقاء الآخر ، ولو أنه يعلم أكثر مما أعلمه عن أمر هذه القبائل ، لعلمت أنا على الفور .

نهض (نور) ، وهو يقول :

ـــ شكرًا لتجاوبك يا دكتور (عبد المحسن) .

ابتسم الدكتور (عبد المحسن) ، وهو يقول :

ـــ أنا مستعد لمعاونتك دائمًا أيها الرائد .. مادمت تسألنى بشكل لطيف .

ضحك (نور) وهو يغادر خيمة الدكتور (عبد المحسن)، متجهًا إلى خيمة الدكتور (إبراهيم) .. وأخذ يقول محدثًا نفسه بصوت خافت :

ـــ من الواضح أنهم جميعًا يعلمون ما يكفى عن قبائل (الكانيبال) ، لافتعال مثل هذا الحادث .. هذا لو أنه مفتعل بالطبع .

لمح (نور) وجه الدكتور (إبراهيم) ، من خلف نافذة خيمته الشفافة ، فأسرع الخطا نحوها ، وهو يغمغم :

ـــ أرجو أن يوضِّح لى حديثى مع الدكتور (إبراهيم) ، مزيدًا من الغموض المحيط بهذا الحادث .

وصل (نور) إلى خيمة الدكتور (إبراهيم) ، وقال وهو يقف خارجها :

ـــ هل تسمح لى بالتحدُّث إليك قليلًا يا دكتور (إبراهيم) ؟

سمع صوته من الداخل يدعوه ، قائلًا :

ـــ بلا شك أيها الرائد .

ولكن (نور) لم يدخل إلى الخيمة ، بل تسمَّر خارجها ، واتسعت عيناه دهشة ، على حين انزوى حاجباه ، وتقابلا فى شكل متسائل .. فقد تناهى إلى سمعه

من وسط الأحراش المتشابكة ، صـوت إيقاع منتظم بدائى ، ولم يكن فى حاجة إلى من يشرح له ، أن هذا هو صوت (الإيقاع المفترس) .

* * *



٤ ـــ المخالب البشريَّة ..

اندفع الدكتور (إبراهيم) من خيمته ، ووقف أما
(نور) وهو يحدّق فى الأحراش برعب ، وغمغم فى توتُّر
ــ يا إلهى !! لقد عادوا .. عاد هؤلاء المتوحّشون .
من منّا سيصبح وليمتهم ياتُرى هذه المرة ؟
زجره (نور) فى عنف ، قائلًا :
ــ صَهْ يا دكتور (إبراهيم) .. دَعْنى استمع
هدوء .
زوَى (نور) ما بين حاجبيه ، وهو يرهف سمعه نح
الإيقاع المنتظم ، الذى أخذ يرتفع بشكل مطّرد ، يشير إ
اقترابه المستمر ، ثم لم يلبث أن استدار وأخذ يعدو نح
خيمته ، وولجها مندفعًا ، وهو يصيح :
ــ ها هى ذى فرصتكم يا رفاق .. حاولوا رصد ذل
الإيقاع بوسائلكم المتقدّمة .

صاح (محمود) ، وهو يعاون (سلوى) على إعداد
جهازها اللاقط للأصوات :
ــ اطمئن أيها القائد .. ستحصل بعد دقائق قليلة ،
على تقرير مفصَّل عن هذا الإيقاع المفترس .
أسرعت (سلوى) تشغّل جهازها ، على حين أعدّ
(محمود) جهـازه الخاص بالفحـص الحـرارى ، وسمع
(سلوى) تقول ، وهى تتابع الموجات المنتظمـة ، التى
ظهرت على شكل منحنى فوق شاشة جهازها :
ــ إنه إيقاع منتظم ، ينبعث من مسافة ثلثمائة متر من
هنا ، وشدَّته ترتفع فى اطراد ، ولكن المنحنى الذى يصنعه
يظل ثابتًا .
وفجأة .. دخل الدكتور (ممدوح الكافورى) إلى
الحجرة ، وصاح :
ــ هاهم أولئك المتوحّشون أيها السادة .. ماذا أنتم
فاعلون ؟
أشار إليه (نور) أن يصمت ، وسأل (سلوى) فى اهتمام :

ـــ ماذا يعنى ما تقولين يا (سلوى) ؟

قالت (سلوى) ، وهى تتابع الشاشة :

ـــ يعنى أن أصحاب (الإيقاع المفترس) ، يدقُّونه بقوة متزايدة باستمرار .

سألها (نور) :

ـــ ألا يقترب من هنا ؟

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـــ كلَّا يا (نور) .. إنه يزداد شدَّة ، ولكنه ثابت فى مكانه .

زوَى (نور) ما بين حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـــ عجبًا !! ماذا يعنى هذا ؟

وفجأة .. توقف الصوت تمامًا ، ولكن الموجات المرتسمة على شاشة (سلوى) لم تتوقف ، وقالت هى فى دهشة :

ـــ هناك صوت آخر منتظم ، ولكنه خافت ، حتى أن الأذن البشرية تعجز عن التقاطه من هذه المسافة .. إنه صوت يشبه أقدامًا تتحرَّك فوق العُشب .

نظر الجميع بعضهم إلى بعض فى دهشة ، وصاح (نور) :

ـــ أقدام تتحرَّك ؟! .. هل أنت واثقة من ذلك يا (سلوى) ؟

هزَّت رأسها إيجابًا فى قوة وثقة ، وهى تقول فى انفعال :

ـــ كل الثقة يا (نور) .. إنها أقدام تتحرَّك .. كلَّا .. إنها ثابتة أيضًا ، ولكن هناك تردُّدات أخرى تختلط بالصوت .. تردُّدات عجيبة .

وفجأة .. توقَّفت الموجات ، واختفت من فوق الشاشة ، فالتفت (نور) إلى (محمود) وصاح :

ـــ هذا دورك يا خبير الأشعَّة .. هناك شخص أو عدة أشخاص يختبئون فى الأحراش ، ولكن جهازك هذا يمكنه التقاط الحرارة المنبعثة من أجسادهم .. هيَّا أخبرنا .. كم شخصًا هم ؟

ظلَّ (محمود) يحدِّق فى شاشته دون أن ينطق بكلمة ، مما دفع (نور) إلى أن يعاود سؤاله فى حدَّة :

— كم شخصًا هم يا (محمود) ؟

رفع (محمود) إليه رأسه وعلى وجهه علامات الدهشة ، وقال فى حَيْرة :

— معذرة أيها القائد ، ولكن الأمر محيِّر للغاية ، فلا توجد أية انبعاثات حرارية من داخل الأحراش ، وعلى بعد يمتد إلى كيلومتر كامل .. حتى فى أثناء التقاط (سلوى) للأصوات ، لم تكن هناك سوى بعض الدفقات الصغيرة جدًا .

نظر إليه الجميع فى دهشة ، وسأله (نور) :

— ماذا تعنى ؟

هزَّ (محمود) كتفيه ، وقال فى دهشة :

— أعنى أن أصحاب هذا الإيقاع المنتظم ، إما أنهم أشباح ، أو أن أجسادهم لا تبعث أى نوع من الحرارة على الإطلاق .

* * *

صاح الدكتور (شريف بيومى) ، فى مزيج من الحنق والدهشة :

— ماذا يعنى هذا أيها الرائد ؟.. اعلم أننا علماء لا نؤمن بخرافة الأشباح هذه .

أجابه (نور) فى هدوء :

— إن وجود أصوات وإيقاعات غير مصاحبة لوجود البشر ، ليس مصدر حَيْرتى الوحيد يا دكتور (شريف) .

نظر إليه الدكتور (شريف) متسائلًا ، فأردف (نور) قائلًا :

— إننى أتساءل أيضًا : لماذا غادر هؤلاء المتوحّشون أو الأشباح — أيًا كانوا — المكان ، دون أن يحصلوا على فريسة كالسابق ؟

ظهرت الدهشة على وجوه الجميع ، وقال (على سلطان) :

— ربما ، لأن أحدنا لم يهرع إلى الأحراش كما حدث سابقًا .

مطَّ (نور) شفتيه دون أن ينطق بكلمة ، على حين همَّ الدكتور (ممدوح) بالكلام .. إلّا أن (سلوى) أوقفته ، حينما صاحت وهى تشير إلى السماء :

ــ لقد وصل الدكتور (حجازى) .. هاهى ذى طائرته تقترب .

استدار الجميع يتطلعون إلى حيث أشارت (سلوى) ، وقال (نور) وقد تهللت أساريره :

ــ هذا ماكنت أنتظره منذ البداية .. أراهن أن ما يحمله إلينا ، سيحل الكثير مما يكتنف الأمر من غموض .

* * *

هبط الدكتور (حجازى) من طائرته ، بوجهه الذى يحمل علامات الطيبة والذكاء ، وصافح الجميع فى بساطة ، ثم سأله (نور) فى لهفة :

ــ ماذا وجدت يا دكتور (حجازى) ؟

غمغم الدكتور (حجازى) فى أسف :

ــ إن المسكين ممزق تمامًا يا (نور) .. لقد تمزقت عضلات ساقيه وذراعيه ، وبُقِرَتْ بطنه ، وانتزعت قطعة كبيرة من صدره بوحشية مذهلة .. والعجيب أن الضربة الأولى التى أصابته هى التى قتلته ، مما لا يستدعى إحداث كل هذه الإصابات الأخرى .

قال الدكتور (إبراهيم) بصوت خافت :

ــ لا عجب فى ذلك ، ما دام قاتلوه هم أكلة لحوم البشر .

رفع الدكتور (حجازى) سبابته أمام وجهه ، وقال :

ــ معذرة يا دكتور (إبراهيم) ، ولكننى أخالفك هذا القول .

نظر إليه الجميع فى تساؤل ودهشة ، فأردف قائلًا :

ــ إن أكلة لحوم البشر لا يمزقون ضحاياهم بهذا الشكل تمامًا ، كما لا يفعل أى صيَّاد بفريسته ، مادام ينوى التهامها .. فهو إمَّا أن يحرص عليها سليمة ليحتفظ بها ، أو يكتفى بالحصول على ما يكفيه منها فقط ، أمَّا أن يمزقها هكذا ــ وكأنه يتمتع برؤيتها أو بالانتقام منها ــ فهذا غير مفهوم بالمرة .

غمغم الدكتور (ممدوح الكافورى) ، فى دهشة :

ــ عجبًا .. إننى خبير بيولوجى قديم ، ولكننى لم أسمع هذه المعلومات من قبل .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال :

ـــ كان ينبغى أن تدرس علم النفس المقارن ، وعلم النفس الإجرامى ، لتصل إلى هذه النقطة يا سيِّدى .

أسرع (نور) يسأل الدكتور (حجازى) :

ـــ هل تعنى أن من فعل ذلك ليس بشرًا يا سيِّدى ؟.. هل تعنى أنه حيوان مفترس أو ما شابه ؟

قال الدكتور (حجازى) :

ـــ حتى الحيوانات المفترسة ، لا تصنع هذا بصيدها يا (نور) .

سأله (نور) فى دهشة :

ـــ ماذا ؟ ومن مزّق هذا الرجل إذن ؟

أجابه الدكتور (حجازى) ، فى هدوء لا يتناسب مع تصريحه :

ـــ إنها مخالب يا (نور) .. صحيح أنها تختلف قليلًا ، ولكنها بلا شك مخالب بشريَّة .

* * *

٥ ـــ من الجانى ؟..

أشاح الدكتور (ممدوح الكافورى) بذراعه ، وهو يقول فى عصبية :

ـــ ما معنىٰ هذا الذى يحدث ؟.. أأتيتم لتكشفوا الستار عما حدث ، أم لتزيدوا الأمر غموضًا ؟

قال (نور) فى برود :

ـــ إن الموقف نفسه هو الذى يزداد غموضًا يا دكتور (ممدوح) .

صاح الدكتور (ممدوح) ، فى مزيد من العصبية :

ـــ هل تتعمَّد إثارة غضبى أيها الرائد ؟.. كيف تقولون فى البداية إنه لا يوجد أشخاص ذوو طبيعة مادية ، مصاحبون للأصوات والإيقاعات التى نسمعها ، ثم يأتى طبيبكم الشرعى ، ليؤكد أن المخالب التى مزّقت (حازم) بشرية ؟.. أحدكم مخطئ ولا شك .

قال الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ لا يمكن أن أخطئ آثار الأظفار البشرية يا دكتور (ممدوح) .. صحيح أن تلك الآثار تبدو بشكل مختلف قليلًا ، ولكن لا يوجد على ظهر الأرض حيوان واحد بخلاف الإنسان ، يمكنه صنع مثل هذه الآثار .

صمت الجميع بعد تصريح الدكتور (حجازى) ، ثم نهض الدكتور (شريف) فجأة ، وقال :

ــ هل فحصت بدايات الآثار يا دكتور (حجازى) ؟

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وقال :

ــ بالطبع يا دكتور (شريف) .. إن تحديد نوع الآثار يعتمد على فحص بداياتها .. فالأظفار البشرية تصنع بدايات قوسية ، على حين تصنع المخالب الحيوانية بدايات مدبّبة و ....

قاطعه الدكتور (شريف) ، قائلًا فى حماس :

ــ أعنى هل فحصتها للتأكّد من كونها أظفار غليظة ، غير منتظمة فى تمزيقها للأنسجة العضوية ، كما يفترض فى أظفار آكلة لحوم بشر بدائي .

رفع الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وقال :

ــ يا إلهى !! كيف لَمْ أفعل ؟ .. أنت محق يا دكتور (شريف) .. كان من المفروض أن أفعل ذلك .

صاح الدكتور (شريف) فى حماس :

ــ هل تسمح لى بمعاونتك فى ذلك ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه مبتسمًا ، قائلًا :

ــ بل إننى أرجو ذلك .. فمَن أعظم من الدكتور (شريف بيومى) فى فحص الأنسجة البشريّة .

سألتهما (سلوى) فى اهتمام :

ــ ماذا يعنى حديثكما هذا ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال وقد التمعت فى عينيه نظرة حماسية :

ــ إن الدكتور (شريف) ، يعنى أنه من الممكن أن تكون هذه الأظفار بشريّة ، ولكنها لا تنتمى بأطراف حيّة على الإطلاق .

* * *

رفعت (سلوى) رأسها تتطلع إلى السماء ، ثم قالت :

ـــ لقد تأخر الدكتور (حجازى) و الدكتور (شريف) ، وما هى إلا ساعة واحدة ويحل الغروب .

ابتسم (نور) ، وهو يسألها :

ـــ هل تخشين غروب الشمس يا (سلوى) ؟

تلفتت حولها تتأمل فى الأحراش الممتدة إلى ما لا نهاية ، وقالت :

ـــ فى هذه الحالة .. نعم .

وفى تلك اللحظة ، لمح (نور) السكرتير (على سلطان) يتحرك بعيدًا ، فصاح يناديه ، ثم تحرك نحوه ، وهو يقول لزوجته (سلوى) :

ـــ معذرة يا عزيزتى ، فلدىَّ بعض الأسئلة أودُّ توجيهها إلى صديقنا (على) .

هزت (سلوى) كتفيها ، وعادت إلى خيمة الفريق ، على حين توجه (نور) إلى (على) وصافحه ، ثم سار إلى جواره وهو يسأله :

ـــ لقد سبق أن أخبرتنى بأنك لم تفهم مغزى الإيقاع حينما سمعته يا سيِّد (على) .. أليس كذلك ؟

نظر إليه (على) فى شك ، وقال :

ـــ بلَى ، أيها الرائد ، فأنا مجرَّد إدارىّ .

توقَّف (نور) عن السير ، واستدار نحوه قائلاً :

ـــ عجبًا .. كنت أظن أن سكرتير معهد علمى ضخم للأبحاث البيولوجية ، لابدَّ أن يُلِمَّ ببعض الشىء بالمعلومات العلمية الخاصة بذلك .

امتقع وجه (على) وازدرد لعابه ، قبل أن يقول :

ـــ هل تحاول اتهامى بشىء أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) فى غموض ، وقال :

ـــ بل أريد سؤالك عمن يرأس معهد الأبحاث البيولوجية يا سيِّد (عى) ؟

أجابه (على) ، دون أن يفارق الشك نظراته :

ـــ كان يرأسه الدكتور (حازم) (رحمه الله) .

سأله (نور) :

— ومن سيخلفه فى رياسته ؟

أجاب (على) :

— الدكتور (ممدوح الكافورى) .

عاود (نور) سيره ، وهو يواصل أسئلته قائلًا :

— وماذا عن الدكتور (إبراهيم فرج) ؟

قال (على) :

— إنه لا يعمل فى معهد الأبحاث البيولوجية .. لقد انضم إلى البعثة ، بسبب أبحاثه الأخيرة فى ترسيب الطمى فى المجارى المائية المتحركة .

وبغتة .. توقَّف (على) ، واستدار إلى (نور) يسأله فى حدَّة :

— أحقًا تريد أن تسألنى عن هذه الأشياء ، أم أنك تحاول الإيقاع بى لسبب أو لآخر ؟

ابتسم (نور) فى خبث ، وقال :

— وهل هناك ما يمكننى من الإيقاع بك يا سيِّد (على) ؟

قال (على) فى توتُّر :

— لعل بعضهم قد أخبرك عن خلاف الأخير مع الدكتور (حازم) ، حينما رفض ترقيتى ، وهدَّدته بالقـ ....

بتر (على) عبارته فجأة ، وامتقع وجهه ، حينما تنبَّه إلى المأزق الذى أوقع بنفسه فيه ، ثم لم يلبث امتقاع وجهه أن تحوَّل إلى شحوب ، حينما استدار (نور) مبتعدًا ، وهو يقول فى خبث :

— حسنًا يا سيِّد (على) .. يكفينى ما سمعته منك توًّا .

* * *

نظر الدكتور (إبراهيم) إلى (نور) فى دهشة ، وظلَّ صامتًا بضع ثوانٍ ، ثم قال :

— ليست لدىَّ أدنى فكرة فى الواقع ، عن مشاجرة (على) مع الدكتور (حازم) (رحمه الله) .. فلست عضوًا بمعهد الأبحاث البيولوجية .

ابتسم (نور) وقال :

— كنت أودُّ فى الواقع أن أسألك عن هذا الأمر بالذات يا دكتور (إبراهيم) !

ابتسم الدكتور (إبراهيم) ، وقال :

ـــ هل تعنى عدم قبولى عضوًا فى المعهد حتى الآن؟

أجابه (نور) :

ـــ هذا ما أعنيه بالضبط ، يا دكتور (إبراهيم) .

صمت الدكتور (إبراهيم) لحظة ، ثم قال فى مرارة :

ـــ ببساطة ، لأن المعهد لَمْ يكن يقبل سوى العلماء اللامعين فى هذا المجال أيها الرائد ، ولم أكن أحدهم حتى شهر واحد ، حينما أوصلتنى أبحاثى بمحض الصُدفة إلى التوصُّل إلى أسلوب جديد فى ترسيب الطمى .

سأله (نور) ، دون أن يلتفت للمرارة الواضحة فى صوته :

ـــ هل يعنى هذا أنك ستصبح عضوًا فى المعهد عما قريب ؟

ابتسم وهو يقول :

ـــ أعتقد ذلك أيها الرائد .

عاد (نور) يسأله :

ـــ ومتى تتوقَّع الحصول على رياسته ؟

نظر إليه الدكتور (إبراهيم) فى دهشة بضع ثوانٍ ، ثم انفجر ضاحكًا ، وقال :

ـــ أعتقد أننى فهمت سبب سؤالك أيها الرائد .. اطمئن ، فلكى أحصل على رياسة المعهد ، لابدَّ لى من تنحية أكثر من ثلاثين عالمًا ، هم من يسبقوننى فى أقدمية العضوية .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ شكرًا لتعاونك على أيَّة حال يا دكتور (إبراهيم) .

بادله الدكتور (إبراهيم) الابتسام ، وقال :

ـــ كنت أتمنَّى معاونتك بصورة أكثر فعالية أيها الرائد .

لم يكد (نور) ينصرف من خيمة الدكتور (إبراهيم) ، حتى سمع (سلوى) تصيح :

ـــ ها هى ذى طائرتهما .. لقد وصل الدكتور (حجازى) والدكتور (شريف) .

أسرع (نور) يستقبل الطائرة ، ولم يكد يلمح الدكتور (شريف) ، حتى صاح يسأله فى لهفة واضحة :

ـ ماذا وجدتما يا دكتور (شريف) ؟

قال الدكتور (شريف) فى اهتمام :

ـ لقد كنت محقًا فى استنتاجى أيها الرائد ، فلقد أثبت فحص الخلايا بالميكروسكوب الإليكترونى والأيونى ، خلو بدايات التمزُّق من أية أتربة أو بقايا عضوية ، كما أن الأظفار المستخدمة غائرة ومنتظمة أكثر من اللازم ، وهذا يعنى باختصار أن ما أحدث التمزُّق هو مخالب صناعية ، تشبه بدقة بالغة أظفار اليد البشرية ، ولكنها ليست كذلك .

غمغم (نور) :

ـ يا إلهى !! هذا يغيِّر الأمور تمامًا .

التف الجميع حول الدكتور (شريف) والدكتور (حجازى) ، وسأل الدكتور (ممدوح) فى اهتمام :

ـ وما الذى تغيِّره هذه المعلومة الجديدة أيها الرائد ؟

قال (نور) ، وهو يبتسم ابتسامة غامضة :

ـ ألم تفهم بعد يا دكتور (ممدوح) ؟.. إن هذا يعنى أن القاتل ليس متوحشًا من أكلة لحوم البشر ، كما أنه ليس شبحًا .. إنه رجل عادىّ ، وهو ـ على الأرجح ـ واحد منكم أيها السادة .

* * *



٦ ــ الصِّــدام ..

ساد الصمت لحظة بعد تصريح (نور) المفاجئ ، وتطلّع إليه الجميع فى دهشة ، ثم قفز الدكتور (ممدوح الكافورى) ، وجذب (نور) من سترته صائحًا فى حنق :

ــ كيف تجرؤ على اتهامنا أيها الشُّرطى ؟.. كيف يمكنك أن ...؟

دفعه (نور) قبل أن يتم عبارته ، فأوقعه أرضًا ، إلّا أن الدكتور (ممدوح) نهض فى حيويّة ، ووجّه لكمة قوية إلى فكّ (نور) ، تفاداها هذا الأخير فى مهارة ، مما أفقد الدكتور (ممدوح) توازنه ، فسقط أرضًا ، وأسرع الدكتور (شريف) يمسك به صائحًا :

ــ كُفّ عن ثورتك هذه يا (ممدوح) .. إنما الرائد يزاول عمله .

نهض (ممدوح) ثائرًا ، وصاح :

ــ يزاول عمله .. أم يوجّه لنا الإهانات ؟

قال (نور) فى برود :

ــ إننى لا أوجّه الإهانات لأحد يا دكتور (ممدوح) .. إننى أحاول كشف غموض حادث قتل بشع .

ويبدو أن عقل الدكتور (ممدوح) قد هضم الموقف تمامًا ، إذ لانت ملامحه وهو يغمغم فى صوت منخفض :

ــ فليفعل ما بدا له ، فقد سئمت هذا الأمر .

صمت الجميع بعض الوقت ، ثم قال (نور) :

ــ فلنراجع ما لدينا ، وسأخبركم لِمَ افترضت أن أحدكم دبّر هذا الأمر .

وتحرّك فى بطء ، وهو يعقد كفّيه خلف ظهره مستطردًا :

ــ لقد تأكّدت من الأسئلة التى وجّهتها إلى كلّ منكم ، أن الجميع هنا يعلمون عادات الدكتور (حازم) (رحمه الله) جيّدًا .. فقد كان أول من يستيقظ ، وهو

يمتلك فضولاً علميًا قويًا ، كاد يورده حتفه ذات يوم خلف تمساح مفترس .. وهذا يعنى أن أيكم كان بإمكانه اختيار الوقت الذى يستيقظ فيه الدكتور (حازم) ، حيث يكون الجميع فى سُباتهم ، ثم يثير فضوله العلمى بإيقاع بدائى عجيب ، يستحيل وجود صانعيه فى قرننا الحادى والعشرين ، وهو واثق أن ذلك الفضول العلمى سيدفع الدكتور (حازم) إلى التخلى عن حذره ، والاندفاع داخل الأحراش المخيفة ، كما سبق أن فعل خلف التمساح .. وهناك ينفرد به القاتل ، ويهاجمه متنكرًا فى هيئة مخيفة ، مستخدمًا أداة صناعية تنتهى بما يشبه الأظفار البشرية ، فيمزّق جسده ، مستغلاً عامل المفاجأة ، وبعد أن يقتله ينتزع من جسده قطعة ، توحى بأن مهاجمه من أكلة لحوم البشر .

سأله الدكتور (إبراهيم) فى دهشة واضحة :

— ولكن لماذا ؟

قال (نور) :

— لنفس السبب الذى سبق أن استحجه الدكتور

(شريف بيومى) .. لمنع الاستمرار فى مشروع تنقية منابع النيل ، وما يستتبعه ذلك من أثر ضخم فى ميزانية الدفاع العسكرى .. وهذا العمل لا يقوم به إلا عميل جندته المخابرات المعادية ، لمنع تقدمنا العسكرى ، الذى يشكل خطورة على ميزان القوى بيننا .

ساد الصمت لحظات ، ثم غمغم الدكتور (عبد المحسن) :

— هذا اتهام خطير أيها الرائد .. من منّا تتهمه بهذا ؟

حرّك (نور) كفّه قائلاً :

— لم أوجّه اتهامى إلى أحد بعد يا دكتور (عبد المحسن) ، وما زالت هناك بعض النقاط الغامضة التى لم أتوصّل إليها بعد .

قال (على) فى سخرية :

— ومتى ستتوصّل إليها أيها العبقرى ؟

نظر إليه (نور) فى حدّة ، وقال فى سخرية مماثلة :

— حين أعلم طبيعة الخلاف الذى نشب بينك وبين المرحوم الدكتور (حازم) يا سيّد (على) .

شحب وجه (على) ، وساد صمت مريب ، على حين اتجهت الأنظار كلها نحو (على) ، فى انتظار ما سيقوله ، ولكنه لم يحر جوابًا ، بل أطرق برأسه أرضًا ، فقال الدكتور (ممدوح) فى هدوء :

— سأخبركم أنا بذلك أيها السادة .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، فاستطرد فى بساطة :

— إن (على) هو أول شخص عُيِّن بمعهد الأبحاث البيولوجية .. قبل أن ينضمّ إليه عالم واحد .. كان عمله فى البداية ، هو إعداد وتنظيم أسماء العلماء الذين رشّحتهم الدولة للعمل فى المعهد ، وإرسال خطابات التعيين إليهم ، وفى هذه المرحلة كان (على) يَعدّ نفسه مسئولًا عن كل ما يخصّ المعهد .. ثم جاء الدكتور (حازم) ، وكما يقولون ، فقد سحب البساط من تحت قدمى (على) .. استولى فجأة على حقّ إدارة وتنظيم المعهد ، بحكم كونه أقدم الموجودين سنًا .. ولقد كان الدكتور (حازم) — والحقُّ يقال — مستبدًا فيما يخص إدارته للمعهد .. فإن كان

عالمًا ناجحًا ، فهو إدارى فاشل للغاية .. عنيف ودقيق بصورة مرضيّة فيما يخص الروتينيّات ، وكثرت المصادمات بينه وبيننا كعلماء ، وبينه وبين الإداريين وعلى رأسهم (على) .. فقد كان هذا الأخير يشعر بالاضطهاد ، بعد أن انتزع منه الدكتور (حازم) سلطاته ، على حين يشعر الدكتور (حازم) بأن (على) يتحدّى أوامره ، ثم كانت المصادمة الكبرى ، عندما حان موعد ترقية (على) ، ورفض الدكتور (حازم) منحه الدرجة ، وفضّل منحها إلى أحد علماء المعهد .. وهنا ثار (على) ثورة عارمة ، وفى غمرة غضبه هدّد الدكتور (حازم) بالقتل .

ساد الصمت طويلًا والجميع يحدّقون فى وجه (على) ، إلى أن رفع رأسه ، وقال فى بطء :

— هذا لا يعنى بالطبع أننى قتلته .

لم يجبه أحد منهم ، وظلت عبارته معلّقة ، وسط صمت رهيب ، إلى أن قال (نور) فى هدوء ، بدا عجيبًا وسط التوتّر السائد :

— إنه لا يؤكد ذلك ولا ينفيه يا سيِّد (على) .

ثم تحرّك نحو خيمة الفريق فى هدوء ، وهو يقول :

— سيعتمد هذا على نتائج المناقشة ، التى ستدور الآن بينى وبين أفراد الفريق .

ظهر الغضب على وجه (على) ، ثم صاح فجأة :

— انتظر أيها الرائد .

استدار إليه (نور) ، وكذلك فعل الجميع ، فاستطرد فى حِدَّة :

— إننى أعرف الرجل الذى خطَّط ونفَّذ كل هذا . .

زوَى (نور) ما بين حاجبيه ، وسأله :

— من هو يا (على) ؟

أشار (على) إلى الدكتور (ممدوح) فى حدَّة :

— إنه هذا الرجل ، ولدىَّ الدليل على ذلك .

* * *

٧ — الدليل ..

التفتت الأنظار جميعها إلى الدكتور (ممدوح الكافورى) ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ، وتدلَّت فكَّه السفلى ، وهو يفغر فاه محملقًا فى (على) ، الذى نظر إليه بمزيج من التحدِّى والسخرية ..

وأخيرًا قال الدكتور (ممدوح) فى حدَّة :

— أأصابك الجنون .. أم أنها محاولة يائسة للنجاة ؟

صاح (على) فى تحدٍّ :

— لا هذا ولا ذاك يا دكتور (ممدوح) .. إنها حقيقة .. هل تذكر ذلك اليوم ، الذى أهانك فيه الدكتور (حازم) وسط زملائك ؟.. هل تذكر كيف تسلَّلت خلفه إلى مكتبه ؟.. لقد كان يتحدَّث إلىَّ فى هذه اللحظة من خلال جهاز الاتصال ، وبقى هذا الجهاز مفتوحًا ، فسمعت كل كلمة قلتها له وقتئذ .

شحب وجه الدكتور (ممدوح) ، وغمغم فى صوت أجش مرتبك :

ــ كانت مجرَّد ثورة غضب .. كلنا نصاب بالغضب ، فنتحدَّث بما لا نعنيه .

تدخَّل (نور) قائلًا :

ــ يهمّنى أن أعرف فحوى الحديث يا سيِّد (على) .

انتفخت أوداج (على) ، على حين ازداد شحوب وجْه الدكتور (ممدوح) ، وقال (على) فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

ــ لقد سأله الدكتور (حازم) عما يريد ، فثار وقال إنه لا يسمح بإهانته أمام زملائه ، أيًا كان من يفعل ذلك ، فصاح به الدكتور (حازم) : إنه سيكرِّر هذه الإهانة ، لو أن الدكتور (ممدوح) لم يؤدِّ عمله بأمانة .. وهنا لكمه الدكتور (ممدوح) فى صدره ، وصاح : إنه سيقتله ، ثم عدَل عن ذلك ، وقال إنه يومًا ما سيكون رئيسًا للمعهد ، ولكنه لن يفعل هذا مع زملائه ، وصاح به الدكتور

(حازم) : إن هذا لن يكون إلّا بعد موته ، فقال الدكتور (ممدوح) فى لهجة لم أسمع أشرس منها فى حياتى : إن ذلك ليس ببعيد .

ساد الصمت تمامًا بعد ما قاله (على) ، وتعلَّقت أبصار الجميع بالدكتور (ممدوح) ، الذى ازداد شحوب وجهه ، حتى حاكى وجوه الموتى ، وغمغم فى صوت ضعيف ، غادر حنجرته فى صعوبة :

ــ ولكننى لمْ أقتله .

ثم صاح ، وكأنه تنبه فجأة إلى شىء ما :

ــ وأنا أول من ذهب إلى حيث لقى الدكتور (حازم) مصرعه ، ولقد رآنى الجميع أخترق الأحراش ، بعد سماع صرخته تمامًا .

تدخَّل الدكتور (عبد المحسن) فجأة ، قائلًا :

ــ لقد أدهشنى هذا فى الواقع يا دكتور (ممدوح) ، فنحن جميعًا نعرف أن نومك ثقيل للغاية ، حتى أنه فى أحد الأيام ، انفجر دورق ضخم يضم بعض الكيماويّات ، ولكنك لمْ تتزحزح من مكانك قيد أنمُلة .

ظهر الارتباك على وجه الدكتور (ممدوح) ، وأعلنت الحَيْرة وجودها فوق ملامحه ، وهو يقل متلعثمًا :

ــ لست أدرى كيف ؟ ولكن صرخة الدكتور (حازم) أيقظتنى على الفور .

ثم صاح فى حدَّة مستطردًا :

ــ وبرغم هذا ، فما حدث يؤكد وجودى بعيدًا عن مكان الحادث وقت وقوعه .

تحدَّث (نور) أخيرًا ، فقال :

ــ ولكنه لا يؤكد عدم استعانتك بشريك يا دكتور (ممدوح) .

عاد وجه الدكتور (ممدوح) إلى شحوبه ، على حين استطرد (نور) فى هدوء :

ــ وكما كنت أقول ، فتوجيه الاتهام يحتاج إلى التشاور مع فريقى أولًا .

* * *

أرجع (رمزى) ظهره ليستند إلى مقعده ، ورفع ذراعيه ليعتمد بمؤخرة رأسه على ساعديه ، ثم قال :

ــ تريد رأيى أيها القائد ؟. حسنًا سأراجع معك شخصيات المشتبه فيهم واحدًا بعد الآخر .. ولنبدأ بالدكتور (ممدوح الكافورى) .. فهو شخص سريع الانفعال ، سهل الاستثارة ، لديه شعور بالاضطهاد ، ويملؤه الحنق تجاه رئيسه الدكتور (حازم عمار) ، وهو فى الوقت نفسه يمتلك المعلومات الكافية لتدبير الأمر بصورة محكمة ، ولكن لابُدَّ له من الاستعانة بشريك ، وهذا ليس مستبعدًا على أيَّة حال ...

وبعد ذلك نأتى إلى الدكتور (إبراهيم فرج) ، فهو شخص حذر ، يدفعه شعوره بعدم الانتماء إلى الانطواء والعُزلة ، وهو متردِّد دائمًا فى كل ما يتخذه من قرارت ، ويحاول بقدر الإمكان عدم التدخُّل فيما يدور حوله ، خاصَّة إذا ما تعلَّق الأمر بمشكلة مَا ..

أما الدكتور (عبد المحسن) ، فهو يتفق مع زميله

الدكتور (شريف بيومى) ، فى أن كلًّا منهما يمتلك الجرأة الكافية لمواجهة المشاكل ، ولديهما اعتزاز قوى بشخصيتهما ، ويفيضان بروح التحدّى ، ولكن معلوماتهما فى البيولوجيات لا تكفى لتدبير الأمر ..

ننتقل الآن إلى العضو الأخير (على سلطان) ، وهو يتفق مع الدكتور (الكافورى) فى الشعور بالاضطهاد والحنق ، كما يمكنه بحكم موقعه تدبير ما يحتاج إليه الأمر ، والحصول على ما يلزمه من معلومات .

صمت (نور) مفكرًا وقد زوى حاجبيه ، وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه ، ثم عاد يسأل (سلوى) :

ـــ وأنت يا زوجتى العزيزة .. لقد قلت إن (الإيقاع المفترس) كان يزداد شدة ، ولكنه لا يقترب ، ثم توقّف وبدأ صوت الخطوات وهى أيضًا لا تقترب .. وأخيرًا قلت إنه هناك تردُّدات أخرى تختلط بها .. هل يمكنك تحديد نوع هذه التردُّدات ؟

قالت (سلوى) ، وقد أغلقت عينيها ، محاولة استعادة ما لديها من معلومات :

ـــ إنها تردُّدات تشبه دوران محرّك ما ، أو جهاز صغير .. شىء من هذا القبيل ، ولكن تحديدها يصبح صعبًا ، فهى ضئيلة للغاية ، وتختلط بصوت الأقدام .

ثم هزّت رأسها ، وقالت فى أسف :

ـــ لا أعتقد أنه بإمكانى معاونتك هذه المرّة يا (نور) .

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وقال :

ـــ بالعكس يا عزيزتى .. لقد أفدتنى كثيرًا .

والتفت إلى (ممدوح) ، سائلًا :

ـــ وماذا عن المصدر الحرارى الصغير ، الذى التقطته أجهزتك يا عزيزى (محمود) ؟

قال (محمود) :

ـــ إنه مصدر ضئيل للغاية ، ولكنه واضح أيها القائد ، يشبه ما يمكن أن تحدثه ذرّة اليورانيوم ، التى تحويها ساعتك الذرّية .

اعتدل (نور) فى مقعده ، وهو يقول فى اهتمام :

ـــ هذا ما توقّعته بالضبط يا رفاق .

نظر إليه الجميع فى ترقُّب واهتمام ، فواصل قائلًا :

ـ هذا يؤكد ما ذهبت إليه فى تفكيرى ، ويؤكِّد أيضًا ...

وفجأة .. بتر (نور) عبارته ، وقطَّب حاجبيه ، وغمغم وهو يصغى السَّمع فى انتباه :

ـ يا إلٰهى !! ها هو ذا (الإيقاع المفترس) مرة ثانية .

أرهف الجميع أسماعهم ، وبدا لهم الإيقاع واضحًا ، يتعالى فى اطراد ، وقفز (نور) من مقعده صائحًا :

ـ حدِّدى لى موقع الصوت جيِّدًا يا (سلوى) .. حدِّديه بكل دقَّة .

وفجأة .. ارتفع صوت صرخة رعب عالية ، وتبادل أفراد الفريق النظرات ، ثم صاح (نور) وهو يندفع خارجًا :

ـ يا إلٰهى !! هناك من يحاول الإيقاع بالضحيَّة الثانية يا رفاق .

أسرع (نور) و (رمزى) و (محمود) نحو مصدر

الصوت ، وما أن وصلوا حتى سمعوا صوت الدكتور (ممدوح الكافورى) ، يقول فى سخط :

ـ هذا المتوحِّش .. دليل براءتى الوحيد .. لقد هرب .. فرَّ قبل أن أمسك به .

ثم رفع ذراعه أمام وجوههم ، صائحًا :

ـ ولكنه لَمْ يخل علىَّ بدليل البراءة .. انظروا .

تطلَّع الجميع إلى ذراعه فى دهشة ، فقد كانت هناك فى أعلاها تمزُّقات وحشية بشعة ، تسيل منها الدماء ، فتغطِّى ساعده تمامًا .

* * *



٨ ــ الوحش ثانيــةً ..

انهمك (رمزى) فى تضميد جراح الدكتور (ممدوح الكافورى) ، على حين التف الجميع حولهما ، استمعوا إلى الدكتور (ممدوح) ، الذى أخذ يقول فى انفعال :

ــ لقد سمعت صوت ذلك الإيقاع المزعج ، فخرجت من خيْمتى محاولًا رؤية ما يحدث ، وفجأة شعرت بوجود شخص يقترب خلفى ، فاستدرت بسرعة ، ولكنه باغتنى بأداة عجيبة ، يحملها فى يده ، تنتهى بأظفار حادّة تشبه الأظفار البشريّة ، فمزّق ذراعى ، ورأيت وجهه فى الضوء الخافت .. كان بشعًا ومشوّهًا للغاية ، ودفعنى فسقطت أرضًا ، على حين أسرع هو يختفى خلف خيْمتى ، ولَمْ أستطع مطاردته ، بسبب الدّماء التى تنزف من ذراعى المصابة .

قال الدكتور (عبد المحسن هديب) :



— لا شك أنه يرتدى قناعًا مشوهًا ليخفى ملامحه .

وافقه الدكتور (شريف بيومى) ، قائلًا :

— وهجومه يؤكد ما ذهبنا إليه ، بشأن استخدامه لأداة خارجية ، توحى بشكل الأظفار البشريّة .

غمغم الدكتور (إبراهيم فرج) :

— هذا بشع .

على حين قال (على سلطان) فى سخرية :

— يالها من قصة مضحكة !!

قال (نور) فى هدوء :

— مهلًا أيها السادة .. إننى أجد فى قصة الدكتور (ممدوح) فائدة كبيرة ؛ فهى تؤكد أن وحش الإيقاع المفترس ، مازال يواصل محاولاته .

ثم التفت إلى (سلوى) ، وسألها :

— هل حدّدت موقع الإيقاع يا عزيزتى ؟

أشارت (سلوى) إلى نقطة مواجهة من الأحراش ، وقالت فى هدوء :

— لو أننا سرنا فى خط مستقيم بدءًا من هذه النقطة ، فسنجد مصدر الصوت على بعد ثلثمائة وعشرة من الأمتار بالضبط .

ابتسم (نور) ، وقال وهو يخرج مسدّسه الليزرى :

— حسنًا يا سادة .. من سيصحبنى إلى هناك ؟

نظر إليه الجميع فى دهشة ، وصاح الدكتور (إبراهيم) :

— ولكنه جنون أيها الرائد .. هل تريد اختراق هذه الأحراش وسط ظلام الليل ؟

هزّ (نور) كتفيه فى استهتار ، وقال :

— ولِمَ لا ؟. هل تصدّق قصة آكل لحوم البشر هذا ؟

قال الدكتور (ممدوح) فى حماس :

— سأصحبك أنا أيها الرائد ، بعد أن أبدّل قميصى الممزّق هذا .

قال الدكتور (عبد المحسن) ، وهو يتجه إلى خيمة الدكتور (ممدوح) :

ـــ حسنًا يا دكتور (ممدوح) .. سأحضر لك قميصًا آخر ، وإن كنت أعترض على ذهابك بذراعك الممزّقة هذه .

قال الدكتور (ممدوح) فى انفعال ، وهو يراقب الدكتور (عبد المحسن) يدخل إلى خيمته :

ـــ ربما كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لإثبات براءتى .

وقبل أن يتحدّث أحدهم ، اندفع الدكتور (عبد المحسن) خارجًا من الخيمة ، وعلى وجهه دلائل انفعال شديد ، فسأله (نور) فى لهفة :

ـــ ماذا حدث يا دكتور (عبد المحسن) ؟

أجابه بعد فترة من الصمت :

ـــ لقد وجدت ما أدهشنى داخل خيمة الدكتور (ممدوح) يا سادة .. وجدت قِناعًا يحمل وجهًا مشوّهًا و .... يدًا صناعية ملوّثة بالدماء ، تنتهى بأظفار شبه بشريّة حادّة .

* * *

قفز الدكتور (ممدوح الكافورى) صائحًا :

ـــ هذه دسيسة .. لقد دسّ أحدهم هذه الأشياء فى خيْمتى ليثبت علىّ التهمة .

ساد الصمت طويلًا ، وامتلأت نظرات الجميع بالشك ، وهم يحملقون فى الدكتور (ممدوح الكافورى) ، الذى صاح فى عصبية :

ـــ لا تنظروا إلىّ هكذا! .. قلت لكم إنها دسيسة .

أسرع (نور) إلى داخل الخيمة ، وعاد يحمل القناع المشوّه ، واليد الصناعية ، وأخذ الجميع يتأمّلونها فى دهشة ، ثم قال الدكتور (عبد المحسن) :

ـــ يا إلهى !! لو لمْ أذهب لأحضر له القميص ، ما تم كشف الأمر .

قال (نور) :

ـــ ولكن تخلّى القاتل عن أسلحته .. يعنى أنه يعلن وجوده فى تحدٍّ ..

صاح الدكتور (ممدوح) :

— أقسم لكم أنها دسيسة .

ثم رفع ذراعه المضمَّدة ، وصاح :

— هل تعتقدون أننى مزّقت ذراعى بنفسى إذن ؟

وفجأة .. أمسك الدكتور (عبد المحسن) بذراع الدكتور (شريف) ، صائحًا :

— يا إلهى !! لقد فهمت الأمر يا (شريف) .. إنهما مثلنا .. أليس كذلك ؟

تألقت ملامح الدكتور (شريف) ، وقال :

— بلى يا (محسن) .. لقد فهمت أنا أيضًا الأمر .. لقد فهمت فجأة كل شىء .

نظر إليهم الجميع فى فضول ، وسألهما (رمزى) :

— ما الذى فهمتماه يا سادة ؟

قهقه الدكتور (عبد المحسن) ضاحكًا فى انفعال ، وصاح :

— لقد فهمنا كيف تمَّ الأمر .. عرفنا من هو الجانى .. أو بمعنى أدق ، من هما ؟

* * *

٩ — الشريكان ..

قبل أن يتكلم أحد الحاضرين أو يعبّر عن دهشته ، أسرع الدكتور (عبد المحسن) يقول فى انفعال وجذل :

— لقد ارتكب هذا الحادث البشع رجلان لا رجل واحد أيها السادة .. رجلان تجمعهما مشاعر واحدة ، وهدف واحد .. وسأقصّ عليكم أنا و (شريف) كيف حدث الأمر .

ثم نظر إلى الدكتور (شريف) ، وابتسم فقال هذا الأخير :

— يبدأ الأمر يوم سمع (على) من خلال أجهزة الاتصال ، ذلك الشجار الذى نشب بين الدكتور (حازم) والدكتور (ممدوح) ، والذى هدّد فيه الأخير الأول بالقتل .. هنا تنبَّه (على) إلى أنه هناك شىء مشترك يجمعهما ، وهو كراهية الدكتور (حازم) ، والرغبة فى التخلُّص منه .

توقَّف الدكتور (شريف) ، فأكمل الدكتور (عبد المحسن) الحديث قائلًا :

ـــ وحين تمَّ الإعداد للبعثة ، صارح (على) الدكتور (الكافورى) بما لديه ، واتفقا معًا على التخلُّص من الدكتور (حازم) ، فتتاح لأحدهما فرصة الحصول على رياسة المعهد ، وتتاح للآخر فرصة الحصول على الترقية المنتظرة .

صاح (على سلطان) فى شحوب :

ـــ هذا جنون .. إنه افتراء شنيع .

تجاهل الجميع تعليق (على) ، وقال الدكتور (شريف) :

ـــ وبدأ إعداد الأمر بمهارة ، فأعدَّا القناع البشع ، واليد الصناعية ذات المخالب ، وانتظرا حتى يوم التنفيذ ، فاستيقظ (على) قبل شروق الشمس ، وأسرع إلى داخل الأحراش ، مرتديا القناع وحاملًا اليد المخلبية ، وانتظر حتى شروق الشمس ، حيث يستيقظ الدكتور (حازم) ، ثم بدأ فى إطلاق (الإيقاع المفترس) من جهاز تسجيل يحمله معه .

التقط الدكتور (عبد المحسن) الحديث ، وأكمله قائلًا :

ـــ وبالطبع ، دفع الفضول العلمىّ الدكتور (حازم) ، إلى التوجُّه نحو الإيقاع ، الذى بدا له عجيبًا فى القرن الحادى والعشرين ، وهناك فاجأه (على) ، ومزَّقه إربًا ، مستخدمًا اليد الصناعية ، ثم أسرع الدكتور (ممدوح) يستيقظ على صوت الصرخة ، مخالفًا طبيعته ، ويهرع إلى مكان الحادث ؛ ليتيح لشريكه فرصة الابتعاد ، وهناك يتظاهر بالدهشة والأسف ، وينتهى الأمر .

قالت (سلوى) متسائلة :

ـــ وماذا عن ذراع الدكتور (ممدوح) ؟

قال الدكتور (شريف) :

ـــ حين بدأت الشبهات تحوم حول الدكتور (ممدوح) ، تعاون هو وشريكه (على) لإبعادها ، فمزَّق الأخير ذراع الأول ، ثم صرخ الأول ، وادَّعى أن آكل لحوم البشر قد هاجمه .. وكادت الخدعة تنطلى ، لولا أن كشف (عبد المحسن) وجود القناع واليد المخلبية فى خيمة الدكتور (ممدوح) .

قال الدكتور (ممدوح) فى حنق :

ـــ هذا أسخف ما سمعت فى حياتى بأكملها .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـــ بالعكس يا دكتور (ممدوح) .. هذا أكثر التحاليل منطقية .. إن الدكتور (شريف) والدكتور (عبد المحسن) شريكان رائعان فى معملهما وفى استنتاجهما .. لقد تناولا الأمر بمهارة رائعة .

تبادل الدكتور (شريف) والدكتور (عبد المحسن) نظرات الفخر ، التى لم تلبث أن تحوّلت إلى الدهشة ، حينما أردف (نور) فى هدوء :

ـــ ولكن التوفيق جانبهما فى شخصية القاتل .

صاح الدكتور (عبد المحسن) :

ـــ ماذا تعنى أيها الرائد ؟ .. هل تقول إننا لم ننجح فى استنتاجنا ؟ .. هل تدّعى أنك تعرف القاتل الحقيقى ؟

برقت عينا (نور) ببريق مألوف يفيض بالظفر والحيويّة ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ بالطبع يا سيّدى .. إننى أعرف القاتل .. أعرفه منذ دقائق قليلة ، وسأخبركم باسمه على الفور .

* * *



١٠ ــ إيقاع العقل ..

تطلّع الجميع إلى (نور) فى ذهول ، وصاحت به (سلوى) فى فضول ولهفة :

ــ أخبرنا من هو بالله عليك يا (نور) .. هلمّ .

ابتسم (نور) ، وقال فى هدوء :

ــ مهلًا يا عزيزتى .. لابدّ أن أخبركم أولًا ، كيف توصّلت إلى ذلك ، وإلا انتابكم الشك فى شخصية القاتل .

تنهّدت (سلوى) فى غضب، وصاح الدكتور (إبراهيم):

ــ هيّا أيها الرائد ، هاتِ ما عندك .

نظر إليه (نور) فى هدوء ، وقال :

ــ إن استنتاج الدكتور (عبد المحسن) والدكتور (شريف) أنيق منمّق ، ولكنه تجاهل بعض النقاط المهمة ، التى لو وضعناها فسينهار الاستنتاج من أساسه .

صمت لحظة أجال بصره خلالها فى الحاضرين ، ثم تابع :

ــ لو أننا آمنّا باشتراك الدكتور (ممدوح) و (على) فى قتل الدكتور (حازم) ، لواجهتنا بضعة أسئلة معقّدة ، وهى لماذا هرع الدكتور (ممدوح) إلى الأحراش بكل سرعته ، مع أنه كان من المفروض أن يعطّلكم قليلًا ، ما دام يريد منح فرصة الهرب لشريكه ؟.. ثم لماذا يسرع (علىّ) لاتهامه بالأمر ، ويكشف موضوع المشاجرة ، الذى لا يعلمه سواه ، مع أنه يوقع به بالتَّبعيّة ما داما شريكين ؟.. ونعود فنجد أن اشتراكهما فى افتعال حادث المهاجمة الأخير يبدو عجيبًا ، بعد أن اتهم كلٌّ منهما الآخر بهذا الشكل العدوانى .. وأخيرًا .. ألَمْ يكن من المفروض أن نجد القناع المشوّه واليد الصناعية فى خيمة (علىّ) ؟.. إذ لم يكن من المنطقى أن يخاطر بوضعهما فى خيمة (ممدوح) ، مادام الجميع سيهرعون إلى هنا فور سماعهم الصرخة ... لو أننا ناقشنا هذه النقاط جميعها ، فسنجد أن اتهام (علىّ)

والدكتور (ممدوح) ، بالاشتراك فى قتـل الدكتـور
(حازم) ، غير منطقى على الإطلاق .

تساءل الدكتور (شريف) :

ـــ ولكن كيف استيقظ الدكتور (ممدوح) فور سماعه
الصرخة ، برغم أنه يشتهر بعمق نومه وبصعوبة إيقاظه ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ هذا يرجع إلى نوع المؤثر المستخدم للإيقـاظ
يا سيِّدى .. فكثيرًا ما نجد أمًا ثقيلة النوم ، يصعب إيقاظها
مهما حدث ، وبرغم ذلك فإنها تستيقظ على الفور ،
بمجرد أن يبدأ رضيعها فى البكاء .. فلقد تسلَّلت صرخة
الدكتور (حازم) إلى العقل الباطن للدكتور (ممدوح) ،
ونبَّهته إلى وجود خطر ما ، فاستيقظت حواسه على الفور ،
وهذا أمر علمىّ سليم .

ابتسم (رمزى) ، وقال وهو يعقد ساعديه :

ـــ لن يمكننى أن أقول خيرًا من ذلك .

ابتسم (نور) ، وواصل حديثه قائلًا :

ـــ إن القاتل الأصلى شخص يعمل منفردًا ، مادامت
المخابرات المعادية قد جنَّدته لإفساد عملية تنقية منابع
النيل ، خشية زيادة ميزانية الدفاع العسكرى لمصر ، وهذا
لايحتاج إلى شعور بالاضطهاد ، أو الكراهية نحو الدكتور
(حازم) .. والقاتل رجل يعلم بعض مايخص قبائل
(الكانيبال) المتوحِّشة ، ولكنَّ معلوماته فى هذا المجال غير
كافية ، حتى أنه لم يستطع حبك الأمر بشكل مقنع ، وهو
فى الوقت نفسه عنيف قوىّ .

عادت (سلوى) تسأله فى لهفة :

ـــ من هو يا (نور) ؟

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ـــ رويدك يا عزيزتى .. فلنشرح أولًا كيف ارتكب
القاتل جريمته ؟

ثم التفت يواجه الجميع متابعًا :

ـــ لقد وضع القاتل خطَّته ، أو بمعنى أدق وضعتها له
المخابرات المعادية قبل بدء البعثة ، وزوَّدته بالقناع البشع

واليد الصناعية ، وبدأ فى التنفيذ صباح اليوم ، وقبل شروق
الشمس .. فارتدى القناع ، وحمل أداة الجريمة وجهاز
التسجيل ، وتسلَّل داخل الأحراش ، ثم انتظر شروق
الشمس ، وبدأ فى تشغيل الجهاز ؛ ليرتفع صوت (الإيقاع
المفترس) ، الذى يعرفه الدكتور (حازم) تمامًا ، وهو
مطمئن إلى أن الجميع سيكونون نيامًا كالعادة ، وأن
الفضول العلمىّ الشديد الذى يتميَّز به الدكتور
(حازم) ، والذى سبق أن عرَّضه للموت ، وهو يطارد
التمساح ، سيدفعه دفعًا إلى اختراق الأحراش ، خلف
مصدر (الإيقاع المفترس) .. وهناك هاجمه القاتل ، وقتله
بلا رحمة ، ثم مزَّق جسده بصورة مبالغ فيها ، وأسرع يختفى
وسط الأحراش المتشابكة ، حتى حضر أفراد البعثة ،
فانضم إليهم متظاهرًا بقدومه على صوت الصراخ ، وكان قد
أخفى أسلحته وأدواته فى مكان حدَّده مسبقًا داخل
الأحراش ، وهو يتصوَّر أن الأمر سيؤوَّل بالتأكيد كحادثة
من حوادث أكلة لحوم البشر ، ولكنه فوجئ بقدوم فريقنا ،

وبرفضنا لعملية وجود هؤلاء المتوحشين ، الذين انقرضوا
منذ زمن طويل ، وخشى أن توصِّلنا أبحاثنا إليه .. وفى هذا
الوقت انكشف أمر الشجار بين كل من (على) والدكتور
(ممدوح) مع الدكتور (حازم) ، وهنا فكَّر فى إلقاء تبعة
الأمر على أحدهما .. وحين قويت الشبهات حول الدكتور
(ممدوح) ، هاجمه متنكرًا ومزَّق ذراعه ، ثم ألقى أدواته
فى خيمته حتى يؤدى كشفها إلى تأكيد التُّهمة عليه .

اختلس (محمود) النظر إلى الدكتور (عبد المحسن) ،
الذى بدا عليه الارتباك ، وقال :

— ومن هو هذا القاتل أيها القائد ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول فى هدوء :

— إنه شخص منطوٍ منعزل ، يميل إلى الفردية ، ويخشى
الاختلاط بالآخرين ، حتى لا ينكشف أمره .. شخص
مزيَّف من أساسه .

ثم التفت إلى الدكتور (إبراهيم فرج) ، وقال :

— شخص مثلك يا دكتور (إبراهيم) .

* * *

١١ ـ القاتل الوحشى ..

استدارت الوجوه جميعها ، تحدّق فى وجه الدكتور (إبراهيم فرج) فى ذهول ، على حين قال هو فى ثبات :

ـ هل تتهمنى أيها الرائد ؟

قال (نور) فى هدوء :

ـ نعم أيها العالم المزيّف .. ولكننى لم أنتبه إلى ذلك ، إلا عندما كان الدكتور (شريف) والدكتور (عبد المحسن) ، يتناوبان شرح استنتاجهما المنمّق الرائع .. فما أن اتهم الدكتور (عبد المحسن) (علىّ) والدكتور (ممدوح) بالأمر ، حتى بدأ عقلى يدرس هذا الاحتمال ، ورفضه بسرعة بناءً على الأسباب التى وضحتها مسبقًا ، ثم أخذت أبحث احتمال قيام أىّ منهما بالعمل وحده .. وهناك واجهتنى نقطة أخرى ، وهى أنه مادام كلاهما يعلم بأمر مشاجرة الآخر مع القتيل ، فلقد كان من الطبيعى أن يحاول تلفيق التهمة

له فى أثناء ارتكاب الجريمة ، ولكن ذلك لم يحدث إلا بعد أن تكشّفت الأمور .. ولمّا كان القاتل لم يحاول ذلك ، فهذا يعنى أنه لا يعلم بأمر المشاجرتين ، وهو بالتالى ليس عضوًا بمعهد الدراسات البيولوجية ، وهنا انحصرت شكوكى فى ثلاثة .. أنت والدكتور (شريف) والدكتور (عبد المحسن) .. ولكننى سرعان ما استبعدت الدكتور (شريف) ، بسبب تعاونه فى كشف أمر زيف اليد المستخدمة فى التمزيق ، وهذا يتنافى مع ارتكاب الجريمة ، ثم استبعدت الدكتور (عبد المحسن) أيضًا ، بسبب بنيته الضعيفة ، التى لا تتناسب مع القوة التى ارتكبت بها الجريمة ، وهنا لم يبق أمامى سواك .

صمت (نور) لحظة ليزدرد لعابه ، ثم استطرد :

ـ وعندما توصّلت إلى هذه النقطة ، تكشّفت أمامى نقاط أخرى عديدة .. فكيف هرعت أنت داخل الأحراش ، برغم أنك كما تدّعى ، خشيت مغادرة فراشك أو خيمتك ، فما بالك بخوض أحراش معروفة بالخطر ؟ ..

ثم إنك لم تكن تعلم بأمر الشجار ، بحكم عدم انتمائك للمعهد .. الشىء الذى توقفت عنده طويلًا ، هو انعزالك وعدم اندماجك بالمجموعة ، ثم البحث الذى تألقت به فجأة ، بعد فترة طويلة من البقاء فى الظلّ .. كانت هذه الأمور تشير إلى أن ظهورك المفاجئ وسط العلماء البارزين قد تمَّ متعمَّدًا ، ليضمن انضمامك إلى البعثة ، وبالتالى منع مشروع تنقية منابع النيل .. لقد توصَّلت على الفور إلى أن هذا البحث الذى أبرزك وسط العلماء ، هو أحد الأبحاث التى قامت بها دولة معادية لنا ، وهى الدولة التى جنَّدتك مخابراتها .. لقد منحوك البحث الذى كنت تحلم به للتفوُّق ، فى مقابل أن تعمل لحسابهم .

ابتسم الدكتور (إبراهيم) ، وقال :

ـــ يا لها من سخافة !!

تابع (نور) ، متجاهلًا عبارة الدكتور (إبراهيم) :

ـــ لقد قلت إنك ذهبت داخل الأحراش بعد أن ذهب الجميع ، ولكنك فى الواقع وصلت إلى مكان الحادث قبل

(علىّ) ، ولكنك لم تكن تعلم لأنك لم تأتِ من أرض المخيم ، وإنما من داخل الأحراش .. ثم كنت أنت أول من نبّه الآخرين إلى ذلك (الإيقاع المفترس) ، خشية ألا يكونوا قد سمعوه .. وحينما وجدت أننا نرفض فكرة أكلة لحوم البشر تمامًا ، وأن الشبهات تحوم حول الدكتور (ممدوح) هاجمته ، ومزَّقت ذراعه ، ثم دسست أدواتك فى خيمته .

ابتسم الدكتور (إبراهيم) فى سخرية ، وقال :

ـــ هل نسيت أيها الرائد ، أن (الإيقاع المفترس) قد ارتفع ذات مرة عصر اليوم ، عندما كنت أنت أمام خيمتى ، وأننا قد سمعناه جميعًا .

ضحك (نور) ، وقال :

ـــ لا .. لمْ أنس ذلك يا دكتور (إبراهيم) ، ولقد كانت هذه فكرة ذكية للغاية منك ، ولكن رفاقى كشفوا أمرك تقريبًا ، عندما قالت (سلوى) : إن صوت الإيقاع ظل يرتفع دون أن يتقدَّم لحظة واحدة ، وإن هناك ترددًا

آخر يشبه دوران محرك ما يختلط بالصوت ، ثم أكد (محمود) عدم وجود أحياء بالقرب من المنطقة ، وعدم وجود أية مصادر للانبعاث الحرارى ، سوى مصدر ضئيل .. كل هذا ينطبق على جهاز تسجيل يعمل وحده ، باستخدام جهاز توجيه عن بعد (ريموت كنترول) .

حاول الدكتور (إبراهيم) أن يضحك ، إلا أن ضحكته جاءت متحشرجة ، وهو يقول :

ـ يا للخيال !!

استطرد (نور) قائلاً :

ـ لقد لمحتنى وأنا أتوجه إليك من خلال نافذة خيمتك الشفافة ، ووجدت أنها فرصة مثالية لإبعاد الشبهات عن نفسك ، فأسرعت تدير جهاز التسجيل المختفى وسط الأحراش ، بواسطة (الريموت كنترول) ، الذى تحتفظ به فى خيمتك ، ثم أسرعت خارجًا لتؤكد لى وجودك ، ولتتظاهر بالدهشة ، ولكن أجهزة فريقى كشفت لعبتك يا دكتور (إبراهيم) .

وفجأة .. وقبل أن ينتبه الجميع ، أبرز الدكتور (إبراهيم) مسدسًا ليزريًا ، وصاح وهو يتقهقر بضع خطوات ، ويصوبه إليهم :

ـ أخطأت فى جزء بسيط من استنتاجك أيها الرائد العبقرى ، ولكنك ستلقى حتفك جزاء ذكائك هذا .

أصيب الجميع بالدهشة والذُعر ، على حين عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وقال فى هدوء :

ـ هل ستقتلنا جميعًا أيها المزيَّف ؟

قهقه الدكتور (إبراهيم) فى وحشية ، وقال :

ـ لن تكونوا أول من أقتل من العلماء أيها الرائد .. وأكرِّر لك أنك أخطأت فى جزء من استنتاجك ، ذلك الخاص بكونى الدكتور (إبراهيم فرج) .. فالدكتور (إبراهيم) الحقيقى يرقد تحت ثلاثة أمتار من التراب ، أمَّا أنا فدليل على عبقرية جراحى التجميل فى دولتى .. لقد حوَّلوا وجهى إلى ذلك العالم فى ثلاثة أيام فقط .

ابتسم (نور) فى تحدٍّ ، وقال :

— هذا يطمئننى فى الواقع أيها الجاسوس ؛ فيسعدنى أن أعلم أن علماء دولتى ليسوا خونة .

عاد الجاسوس يقهقه فى سخرية ، وقال وهو يصوِّب المسدس اللِّيزرى إليهم :

— فليطمئن قلبك أيها الرائد ، فسوف أرسلكم جميعًا لتقابلوا زميلكم (إبراهيم) فى جنة الأغبياء .

* * *



١٢ ــ الختـــام ..

لولا ذلك الخوف الذى سيطر على الجميع ، حينما برقت عينا الجاسوس فى وحشية ، وتوجَّهت فوّهة مسدّسه اللّيزرى نحوهم ، لأمكنهم وصف ما حدث ، ولكن كل ما تذكَّره الجميع ، هو أنهم وجدوا (نور) فجأة ، على بعد خطوتين من الجاسوس ، ورأوه يركل مسدّسه اللّيزرى فى مهارة ، ثم يوجّه إليه لكمة قويّة ، ولكن الجاسوس تفاداه فى مهارة مماثلة ، ثم دفع (نور) بعيدًا وهو يصرخ :

— تبًّا لك أيها الرائد .. لقد أفسدت كل شىء .

ورآه الجميع بعد ذلك يسرع إلى الأحراش ، و (نور) يتبعه فى إصرار ، فصاحت (سلوى) :

— كلَّا يا (نور) .. لا تلج الأحراش وسط ظلام الليل .

ولم تكد عبارتها تكتمل ، حتى كان (نور) قد اختفى

وسط الظلام والأحراش ، واندفع الدكتور (عبد المحسن) يلتقط مصباحًا ، ويصيح :

ــ هلمُّوا بنا يا رفاق لنلحق بهما .. لابدَّ أن نعاون الرائد (نور) فى الإيقاع بهذا الجاسوس القاتل .

وفجأة .. توقف الجميع .. تسمَّرت أقدامهم ، وارتجفت أجسادهم ، ونطقت عيونهم بالرُّعب والقلق ، إذ ارتفع وسط ظلام الليل ، ومن داخل الأحراش ، زئير وحشى ضخم ، يختلط بصرخة قوية يملؤها الرُّعب والألم ، ولم تلبث الصرخة أن تلاشت ، على حين عاد الزئير الوحشى يرتفع بشكل مثير للرُّعب . فصرخت (سلوى) فى جزع :

ــ يا إلهى !! .. (نور) .

صاح الدكتور (ممدوح) ، وهو يلتقط المسدس الليزرى ، الذى سقط من الجاسوس ، ويشير إلى الدكتور (عبد المحسن) :

ــ لقد أعاد لى هذا الرَّائد براءتى ، ولن أتركه وحده الآن .. هلُمَّ بنا يا (عبد المحسن) .



أسرع الجميع يخترقون الأحراش فى ذعر ، يقودهم مصباح الدكتور (عبد المحسن) ، وحماس الدكتور (ممدوح) .. وفجأة وجدوا أمامهم (نور) ووجهه جامد شاحب ، فأسرعت (سلوى) تلقى نفسها بين ذراعيه صائحة فى لهفة :

— وا زوجى العزيز .. لقد تصوّرت أنك ....

قاطعها (نور) قائلاً فى شحوب :

— لقد كان أسدًا جائعًا .. لقد هاجمه ومزّقه تمامًا ، ولم أستطع إنقاذه .. لقد ....

قاطعه الدكتور (حجازى) ، وهو يربّت على كتفيه قائلاً :

— لا عليك يا ولدى .. لقد لقى جزاءه العادل .. جزاء من جنس العمل .

* * *

هبطت طائرة مفتش الشرطة الأوغندى ، وقفز هو منها فى نشاط ، ثم توجّه إلى (نور) ، وصافحه قائلاً :

— يقولون إنك قد توصّلت إلى القاتل أيها الرائد المصرىّ ، هل هذا صحيح ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

— نعم أيها المفتش .. ولكننى لن أستطع تسليمه إليك للأسف ، فقد لقى مصرعه بدوْره .

أشعل المفتش غليونه فى هدوء ، وقال :

— لن يدهشنى هذا ، فالأحراش المحيطة ببحيرة (فكتوريا) ، تشتهر بكثرة الحيوانات المتوحشة .

ثم رفع رأسه يتأمّل الضوء الذى أخذ يظهر فى الأفق ، وقال :

— من الواضح أنك حافظت على وعدك أيها المصرى ، فها قد بدأ الفجر ينبلج .

ابتسم (نور) فى خبث ، وقال :

— أردت فقط أن ألقنك درسًا .

استدار إليه المفتش فى حدّة ، وسأله :

— درس ماذا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ أردت أن أريك ماذا يمكن أن يفعله المصريون .

* * *

[تمت بحمد الله]